حوار الأديان بين القرآن والتطبيقات المعاصرة

فطمير شيخو*

مُلخّص

الكراهية الدينية المتوارثة التي تثيرها وسائل الإعلام ضِدّ الإسلام والمسلمين تؤدي إلى إحياء العداوة الدينية بين المسلمين والمسيحيين، كما تؤدي إلى تدمير علاقتهم المبنية على روح الصداقة والتعاون. يحاول هذا البحث أن يسلط ضوء على فلسفة القرآن الكريم لتعزيز الحوار مع أتباع الأديان عامَّةً والمسيحيين خاصّةً، تأسيساً على قواعد هذا المنهج القرآني في وحدة النّبوة وجعل الإسلام مُسَاوياً ومُكافئاً للحنيفية السمحاء والتوحيد الخالص، ومنع الإكراه في الدين. كما أنّ المنهج القرآني للحوار مع المسيحيين يؤدي إلى: أولا: إثبات المسيحية كدين سماوي موحى به؛ وثانيا: الإقرار بأن هذا الدين وقع فيه تحريف وجاء القرآن مُصدِّقاً ومُهَيمناً عليه. وانطلاقاً من هذه المفاهيم القرآنية لا ينبغي الإحجام وعدم المشاركة في الحوار مع الآخر عامّةً والمسيحيين خاصّةً. ويخلص هذا البحث إلى أنّ: أولاً: المنهج القرآني هو أفضل المناهج الربانيّة والعقلية في دعوته إلى الحوار مع أتباع الأديان عامّة وأتباع المسيحية خاصّة؛ وثانياً: الحوار القرآني يقوم بتأسيس علاقة دينية حميمية بين أتباع الإسلام والمسيحية مبنية على الانفتاح على بعضهم البعض وفهم الآخرين كما هم، ولماذا هم كذلك، وتجنيبهم الدعوات الفردانيّة والمعياريّة والتي تأخذ عادة صورة: لماذا ليس هكذا؟

مقدمة

يشهد العالم الراهن ظاهرة تحول فكري، وثقافي، وديني، وحضاري في مجتمع مُتنوع الأجناس والأديان والثقافات والتقاليد، أفرزتها الهجرة الجماعية للبشر بسبب الظروف السياسية، والاقتصادية، والدينية...الخ. كما أنَّ اندماج الثقافات والأديان الموجودة في القرية العالمية (Global Village) أدى إلى تحقيق غاية التعايش السلمي بين النَّاس عامّة، والمسلمين والمسيحيين خاصّة. وقد اتخذ الكثير من أتباع الإسلام والمسيحية الاختلافات

---

*أستاذ مساعد، قسم الدراسات العامّة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا.

الدينية حواجز تفصل بينهم، وتساهم في فرض عزلة نفسية واجتماعية متزايدة بين الطرفين. وهو السبب الأساس لتأزم العداوات الدينية والمشاكل الراهنة في فلسطين، وبوسنيا، والشيشان، وكوسوفا، وأفغانستان، والعراق، ولبنان، والفليبين، وغيرها من البلدان، وهذا ما يدفع للتساؤل حول الطرق التي نستطيع من خلالها التغلب على هذه العداوات والمشاكل؟ وكيف نُفهِمُ النّاس أن التعددية الدينية لا تؤدي إلى محو معالم الأصالة، وإنما تؤدي إلى تعزيز أواصر الصداقة، والتقارب، والتعارف، والمحبّة، والمودّة؟

ولا يخفى أنه حسب المنظور التوحيدي، فإننا كلّنا عباد إله واحد، على الرغم من اختلاف الجنسيات، والقوميات، وتفصيلات المُعتقدات الدينية. إضافةً إلى ذلك، كُلّنا أبناء آدم وحواء – ولذا يُذكّرنا القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]. ويدلّ سياق هذه الآية القرآنية على أن المنهج القرآني للحوار الإسلامي–المسيحي لا يتحقّق إلاّ بوجود مجتمعٍ مُتنوع الأديان والثقافات والأجناس والألوان، كما يُفهم منها أيضاً، أنَّ الخطاب الإلهي موجه للناس جميعاً وليس لأتباع الإسلام والمسيحية، واختلاف الشعوب والقبائل دافع إلى التعارف. ولذا لابدّ للمسلم أن يؤمن أولاً بتعدّد الأديان والاختلاف الديني قبل أن يدخل في الحوار مع المسيحيين، لأنّ التعدّد والاختلاف في المجتمع الإنساني، سنّة ماضية من سنن الله ﷻ في عباده، فهي غير خاضعة لأي تحوير، كما أن سنن الله ﷻ لا تقبل أي تبديل.

واعتماداً على القواسم المشتركة التي تُقرّب بين الناس وتزيل سوء التفاهم الذي يُفرّق بينهم، حاول علماء الأديان من المسلمين والمسيحيين حديثاً أن يأتوا بطريقة جديدة تزيل النّزاعات والعداوات الصادرة عن الاختلافات الدينية. وهذه المحاولات الحديثة أدت إلى تعزيز فكرة الحوار بين الأديان السماوية وغيرها، ومن بينها الحوار الإسلامي–المسيحي، والذي يهدف إلى تعزيز منهج التعارف، والتقارب، والتعاون بانفتاح فكري متبادل وتجاوز الحوار الذاتي إلى الحوار مع الآخر. ولا شكَّ في أن الحوار الإسلامي–

المسيحي ليس أمراً جديداً بل هو قديم قدم الإسلام حيث ناقشه القرآن الكريم في آيات متعددة، وسأحاول أن أتناول ذلك، ثم أعرج على التطبيقات المعاصرة.

المبحث الأوَّل: المنهج القرآني في عرض فكرة الحوار وبيان أهميته

من المعلوم أن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى، نزل به الروح الأمين من لدن الرحمن على نبيه الأميّ مُحمّد بن عبد الله ﷺ باللفظ والمعنى، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الكلمة الفاصلة في كلّ ما يأمر به الله، وما ينهى عنه، وهو الحقيقة الفاصلة الحاسمة التي لا يرقى إليها شكّ[1] -﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: 2]. وقد أرسل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم رحمة من عنده ووحيه الأخير لهداية الناس جميعاً بعد أن حرف اليهود والنصارى كتبهم المقدسة (التوراة والإنجيل). وهذا الكتاب المُقدس الشَّامل يُتِم الكتب المقدسة للأمتين اليهودية والمسيحية.[2] وهذا هو الفرق الحاسم بين الكتب المقدسة السَّابقة على القرآن الكريم ولو كانت كلّها وحياً من "اللوح المحفوظ".[3] وهكذا فالقرآن الكريم وحده بَقِي صحيحاً طبق الأصل، ووحياً كاملاً من الكتاب الربّاني، في حين أنّ الكتب الأخرى عرض جزئي وغير متكامل للصورة الأم في اللوح المحفوظ.[4]

والقرآن الكريم كتاب عالمي أرسل للإنس والجنّ - أي المكلّفين، وميزته أنَّه يُكرّر الوحي الصحيح المُترل على جميع الأنبياء من قبله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى**

---

[1] انظر مُحمّد حسين فضل الله، **الحوار في القرآن الكريم: قواعده–أساليبه–مُعطياته** (بيروت: دار الملاك، ط5، 1996)، ص43.

[2] See John L. Esposito, *Islam: The Straight Path,* 3rd ed. (New York: Oxford University Press Inc., 1998), p. 18.

[3] See Heribert Busse, *Islam, Judaism, and Christianity: Theological and Historical Affiliations*, translated from German by Brown Allison (U.S.A.: Markus Wiener Publishers, 1998), p. 29.

[4] See Harold Coward, *Scripture in the World Religions: A Short Introduction* (Oxford: Oneworld Publications, 2000), pp. 103-104.

وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]. وتدلّ هذه الآية الكريمة على انفتاح القرآن الكريم على الآخرين، وتدعو بإلحاح النّاس عامّة، والمسلمين خاصّة لدراسة الكتاب المُقدّس دراسة واعية لتأسيس المنهج القرآني في عرض فكرة الحوار مع الآخر وخاصّة مع المسيحيين.

1-1. مفهوم الحوار في القرآن

المنهج القرآني لتعزيز فكرة الحوار مع المسيحيين يؤدي إلى تحسين فهم غاية الرسالة الربّانية وتطوير الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، كما أنّه يدلّ على قِيَم ومبادئ هي جزء أساسي من الفكر والحضارة الإسلاميتين. فمن حيث الدلالة اللغوية، نجد أن كلمة "حوار" مشتقة من جذر "ح، و، ر" الذي يأتي بمعاني تؤكد على مفاهيم أصيلة في تراثنا الثقافي والحضاري.[5] فكلمة الحوار تعني الرجوع، نحو: وهُم يتحاورون، أي يتراجعون الكلاَم؛ والمحاورة هي المجاوبة، والتحاور هو التجاوب، والحَوْرُ هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمحاورة هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.[6]

ويشكّل القرآن الكريم المصدر الأساس للحوار من خلال نَصّه المُقدس الداعي إلى إدراك الصورة الحقيقية لفكرة الحوار مع أتباع الأديان عامّة، وأتباع المسيحية خاصّة، وقد ورد الاصطلاح القرآني لفكرة الحوار مرتين في سورة الكهف، ومرةً في سورة المجادلة. قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾ [الكهف: 34]؛ وقال تعالى أيضاً: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾ [الكهف: 37].

---

[5] انظر عبد العزيز عثمان التويجري، "الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي"، **آفاق الإسلام**، السنة: 6، العدد: 24، ديسمبر 1998، ص65.

[6] انظر جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت.)، مج4، ص217-218 (مادة: حور)؛ وانظر أيضاً محمود بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** (القاهرة، ط2، مج2، 1952م)، ص16؛ ومحمّد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس** (د.م.: د.ن.، د.ط.، د.ت.)، مج3، ص162.

فقد استخدم القرآن الكريم لفظ (الحوار) في هاتين الآيتين مرتين حينما عَرض قصّة رجلين يختلفان في موقفيهما تجاه نعمة الله ﷻ عليهما. ويُفهم من هاتين الآيتين أنّ هذين الرجلين ينحدران من بيئة دينية مختلفة، أحدهما المؤمن الذي لا يملك مالاً كثيراً والآخر الكافر الذي عنده حديقتان مُثمرتان. ويظهر الكافر من خلال تحاوره مع المؤمن تَكبّره وجهالته وتعلقه العقيم بنعيم العالم المادي الذي أنساه ربّه وخالقه. أمّا المؤمن فيُجِيب الكافر بطريقة متواضعة عبر حديثٍ سِلمي. والملاحظ من الحوار الدائر مواجهة هذا الأخير باضطراب ذهن وحِيْرة عقل؛ وقد كان الغرض الأساسي من هذا الحوار إخراج هذا الكافر من حالته النفسية بأسلوب هَيِّن لا قَسْوَة فيه ولا عُنْف، لذا يُحاوره المؤمن بالحكمة والموعظة الحسنة التي تُؤثّر فيه، وتجعله يندم على ما قال سابقاً. ونفهم أنّ طريق الجدال، والتعامل، والتحادث بين المؤمن والكافر يهدف إلى نفس الغاية التي يسعى إليها موضوع الحوار مع الآخر المبني على الاحترام المتبادل وتقارب الأهداف والتفاهم المنصف على طريق الإيمان.

والآية الأخيرة التي تشير إلى موضوع الحوار الديني عبر الاصطلاح القرآني، هي: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: 1]. وتَعْرِض هذه الآية الكريمة لفظ "الحوار" بمعنى الحوار السلمي مع الآخر من قبل النِّساء؛ إذ قد دار الحوار بين مُحَمَّد ﷺ وامرأة كانت تجادله في زوجها. ونلاحظ من استخدام الاصطلاح القرآني لكلمة "الحوار" الواردة في هذه الآيات الثلاث أنَّ الحوار مع الآخر هو رجوع الكلام بين جماعتين مختلفتين من خلال الاحترام المتبادل والتفاهم المُنْصِف حيث إن الجماعة الأولى تُعبّر عن أفكارها وآرائها بينما الأخرى تستمع إليها وتَتَعلم منها وفي الوقت نفسه ترغب أن يُستمع إليها.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر اصطلاح "الجدال" الهادف إلى تعزيز الحوار مع الآخر عامّة، ومع المسيحيين خاصّة، والذي يناسب موضوع اصطلاح "الحوار" في كونه مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين إلاَّ أن "الجدال" يأخذ طابع القوة والغلبة

والخصومة.[7] ويُرى أنَّ أصل "الجدال" هو المناقشة أو المنازعة مع الآخرين حول المسائل التي تتعلق بالصواب والخطأ، والانتصار على الآخر. فنجد الاصطلاح القرآني "الجدال" يشير إلى المناقشة والمنازعة من جهة، والحوار من جهة أخرى. والذي ينفعنا في هذه الدراسة هو استعمال اصطلاح "الجدال" في تلك الآيات القرآنية داعياً إلى المحبّة والمودّة وليس الكراهية. ونستطيع أن نقول إن الاصطلاح القرآني للتعامل السلمي هو المجادلة بالتي هي الأحسن؛[8] أي التعامل مع الآخر بسلوك سلمي يهدف إلى الاحترام المتبادل والتعاون والصداقة، وغيرها.

ولعلّ كثرة ورود "الجدال" في القرآن الكريم والتراث الإسلامي عبر تاريخه الطويل يعكس ما واجهه الإسلام من قضايا ومواقف. فقد واجه التحديات الفكرية والتقليدية، التي تعيش داخل وعي الإنسان وفكره، المتعلقة بحركة تطوير وتحسين طريقة تفكيره، والتي تغزو أعماقه، كما ستنقله من ظلمات الشك والكفر والضلال إلى نور الإيمان والتوحيد والهداية.[9] ولهذا طرح الإسلام في القرآن الكريم جدال الإنسان وحواره الذاتي مع نفسه قبل الجدال والحوار مع الآخر، لأنَّ كليهما –الجدال والحوار–[10] يساعدان الإنسان في التغلب على تَحدِّيات وعَقَبات عصره، ويمكنانه المشاركة في الحوار الديني مع الآخر على الرغم من الخلفيات الدينية والثقافية والاجتماعية المختلفة.

---

[7] انظر خالد بن عبد الله القاسم، **الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة** (الرياض: دار المسلم ، 1993م)، ص104.

[8] See Mahmoud Ayoub, “Nearest in Amity: Christians in the Qur’ān and Contemporary Exegetical Tradition,” *Islam and Christian-Muslim Relations* (vol. 8, no. 2, 1997), p. 156.

[9] انظر فضل الله، **الحوار في القرآن الكريم**، ص50-51.

[10] يُلاحظ أنَّ الحوار والجدال يلتقيان في أنَّهما مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك، لأنَّ حقيقة الجدال هو اللدد في الخصومة، وما يتصل بذلك ولكن في إطار التخاصم بالكلام، فالجدال والمجادلة والجدل كل ذلك ينحى منحى الخصومة أو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له، أما الحوار والمحاورة فهي مراجعة الكلام والحديث بين طرفين دون وجود خصومة بالضرورة. انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **أصول الحوار**، 9، نقلاً عن عبد الله القاسم، **الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة**، ص106.

ومن الآيات التي ورد فيها المعنى المستفاد من اصطلاح "الجدال" وغايته الحوار مع الآخرين، هي: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: 34]. إنَّ العبارة القرآنية ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تدلّ على أهمية وسيلة التعامل مع الآخرين أثناء محاورتهم لأجل الوصول إلى المعلومات أو العلم المطلوب من جهة، وإنجاز الغرض النهائي للحقيقة من جهة أخرى. كما أنَّ كلمة ﴿الْحَسَنَةُ﴾ تُعبِّر عن المنهج السلمي للحوار مع الآخر بينما تُعبِّر كلمة ﴿السَّيِّئَةُ﴾ عن المنهج العنيف. ونلاحظ أنَّ الاستعمال القرآني لمنهج اللاعنف وطريقة اللين أثناء المشاركة في الحوار مع الآخر، يشير إلى النتائج العملية التي تجنيها الرسالة الإلهية من خلال هذا المنهج، وهو تحوّل الأعداء إلى أصدقاء ينطلقون معك في ما تفكّر فيه وفيما تعمل له.[11]

ويُلاَحظ أنَّ القرآن الكريم يشجّع وينصح المسلمين أن يجادلوا أو يحاوروا بأسلوب مبني على الاحترام المتبادل والصداقة: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125] ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 46].

1-2. المعاني السياقية للحوار الديني في القرآن الكريم

إنَّ موضوع الرسالة التي يعبّر عنها اصطلاح "الحوار الديني" الوارد في الآيات القرآنية، قد يُفهم من خلال الاستعمال السياقي، ويتناول هذا الأسلوب فكرة الحوار في صورة غير مباشرة تساعد القارئ على فهمها بيسر من خلال دراسة السياق لآية واحدة أو مجموعة من الآيات القرآنية. ولكن السياق هو الخطاب الذي يدور حول كلمة أو عبارة، توضّح

---

[11] المصدر نفسه، 83.

مراده من خلال تلك البيئة،[12] ولذلك يُسمى "سياق بيئة" الذي يدلُّ على وضعٍ لغويٍ إضافيٍ لكلامٍ أو عبارة غير لغوية يسهم في المقصود.[13]

إنَّ الاستعمال السياقي لفهم فكرة الحوار الديني من خلال الآيات القرآنية يُنبه النّاس عامَّة، والمسلم خاصَّةً إلى "ضرورة التَّفكُّر، والتَّبصّر والتدبُّر، فلا يجهد عقله بترديد كلمات كالببغاء، بل عليه أن يجني ثمر الفكر"[14] حينما يشارك في المحادثة السلمية مع الآخر. ولاشكٍّ أنَّ القرآن الكريم هو المصدر الرئيس الذي يَعرِضُ الموقف الشامل للإسلام وانفتاحه تجاه هذا الحوار، كما يُظهِر أنّ جزءاً من خطابه يُركز على الحقيقة الدينية والحضارة الإنسانية. ولهذا قال الله ﷾: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 64].

ويمكن لنا أن نستنبط من سياق هذه الآية الكريمة القاعدة الشرعية التي تحدّد موقف الإسلام من التعامل والتعاون والتعايش السلمي بين أتباع الأديان الأخرى. إنَّ الله ﷾ يأمر نبيّه محمداً ﷺ بأن يدعو أهل الكتاب من خلال المحادثة السلمية إلى التفاهم المشترك؛[15] أي الأخذ بعين الاعتبار العهد الديني المشترك بينهم، ﴿...أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ...﴾.[16] وإضافة إلى ذلك، يدعو القرآن إلى العودة إلى التوحيد الأصيل في اليهودية والمسيحية، كما ينصح كلّ مسلم أن يُظْهِرَ نحوهم الاحترام والتسامح. والأهم من ذلك موضوع الحوار الديني، الذي يُفهم من موقف النبيّ ﷺ بالتقارب السلمي نحو أهل

---

[12] See R.E. Asher (ed.) *The Encyclopedia of Language and Linguistics* (U.K.: Pergamon Press Ltd., 1994), vol. 10, pp. 5106-5107.

[13] *Ibid.*

[14] مراد هوفمان، **الإسلام كبديل**، ترجمة: غريب محمد غريب (الكويت: مجلة النور الكويتية، 1993م)، ص117.

[15] انظر عبد العزيز بن عثمان التويجري، **الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين** (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1998م)، ص37-38.

[16] إنَّ سياق هذه الآية الكريمة يدعو إلى تحقيق المبادئ الثلاثة: أولاً: إفراد الله بالعبودية؛ ثانياً: عدم الإشراك به؛ ثالثاً: رفض اتخاذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

الكتاب والمسيحيين خصوصاً، حين كان يُقَدِّم لهم المبدأ الرئيس لدينه وهو التوحيد. ومن المعلوم أنَّ نفس التوحيد قد بَلَّغَه موسى وعيسى عليهما السلام، ولهذا كان ﷺ يدعوهم من خلال المحادثة السلمية إلى أن يشهدوا على حقيقة طبيعية، كما ورد في كتبهم المقدسة. وتدلّ المحادثة السلمية التي كان يدعو إليها النبي ﷺ أهل الكتاب، على موقف معتدل للرسالة الإسلامية وتعاملها مع الآخرين.

وقال ﷾: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: 62]. ويُفهم من التعبير القرآني في الآيات أعلاه والذي وقع في خاتمة مطاف المهمة السياسية للنبيّ ﷺ أنّ مبدأ التعددية الدينية الذي يَعْرِضُه لم يكن مستنداً إلى أي بُعْد سياسي أو استراتيجية تصالحية، بل كان حقيقة للحكمة الإلهية المؤشرة في التاريخ الإنساني.[17] إضافة إلى ذلك، يدلّ سياق هذه الآية على وجهة النظر الإسلامية في الاعتراف بأتباع المجتمعات الدينية الأخرى (لأنّها في نظر الإسلام ربانية المصدر)، والذين يعيشون ضِمن حدود الدولة الإسلامية على الرغم من اختلاف هويتهم الدينية.

إنَّ التعددية المعززة من النص الإلهي لدين الإسلام تقوم على تأسيس إمكانيات وحدود للحوار الديني من المنظور الإسلامي، الذي بعدئذ يؤدي إلى علاقة حميمة بين أصحاب الأديان العالمية. وتُعد الوحدة من خلال التعددية أو تطبيقاتها الإنسانية التي تجاوزت حدود الألوان واللغات،[18] أساساً يجب على المسلمين أن يعززوا من خلالها معالم التسامح، والتعاون السلمي مع أصحاب المعتقدات الأخرى.[19]

---

[17] See Ayoub, "*Nearest in Amity:...,*" p. 148.

[18] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ**اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22]؛ و﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ **أَلْسِنَتُكُمُ** الْكَذِبَ هذَا حَلاَلٌ وَهذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116].

[19] See Karl-Wolfgang Trogör, "Peace and Islam: In Theory and Practice," in *Islam and Christian-Muslim Relations* (vol. 1, no. 1, 1990), pp. 14-15.

إنَّ ذِكر أتباع المجتمعات الدينية المختلفة وقَدَرهم؛ أي اعتصامهم بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومن عَمِلَ منهم صَالِحاً فلهم أَجْرُهُمْ عِندَ رِبِّهِمْ ولا خَوفٌ عليهِم ولا هم يحزنون، يُقوِّي حقيقة أنَّ القرآن الكريم يُعزز فكرة الحوار الديني مبنية على المحبّة الربانيّة تجاه النَّاس جميعاً لكونهم خَلْقَ الله ﷻ. ويُلاحظ مما سبق أن تأسيس المبادئ الرئيسة للمحادثة السلمية أو الحوار بين أتباع الأديان، لابدّ فيها من وجود مجتمع متعدد الأديان والأجناس، وإلاَّ فتطبيق فكرة الحوار بين الأديان لا يتحقق.

والنتيجة التي يمكن أن نثبتها هنا أنَّ الآيات القرآنية المتعلقة بالاصطلاح القرآني (استعمال الاصطلاح بصورة مباشرة) والسياق القرآني (استعمال الاصطلاح بصورة غير مباشرة)، تدعو إلى تعزيز المبادئ الأساسية لفكرة الحوار الديني بين المسلمين والآخرين عامة، والمسيحيين خاصة. ويشجّع الإسلام كلّ مسلمٍ للمُشاركة في هذا النوع من الحوار لكي يُبَلِّغ إلى الآخرين الروح الحقيقي لرسالته، كما ينصح كلّ مسلمٍ بتطوير فهمه لفكرة الحوار مع الآخر الواردة في الآيات القرآنية حتّى يبني عليه أسلوباً ربانياً في تعامله مع الآخرين لتبليغ الرسالة الإلهية للراغبين في معرفة حقيقة الإسلام.

1-3. القرآن وفاعلية الحوار مع الأديان

إنَّ الأهمية الأساسية للحوار القرآني مع أتباع الأديان الأخرى عامّةً والمسيحية خاصّةً، هو تأسيس منهج ربّاني باتِّجاه وحدة وتعارف الجنس البشري وانتمائه لأب واحد وأم واحدة. والآيات القرآنية تُقرر وجوب التعاون بين المسلمين والمسيحيين لتحقيق الخير العام، ولذا قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

يُلاَحظُ من سياق هذه الآية الكريمة أنّ الخطاب الرَّبَانِي مُوجّه للناس جميعاً وليس للمسلمين فقط، ويذكر بالأصل الواحد، وأنَّ اختلاف الشعوب والقبائل هدفه التمايز والتعاون، ويلعب دوراً مهماً في تطوير الفكر الإسلامي من خلال دعوته إلى الانفتاح،

والتعارف، والتعامل مع الآخر[20] كما هو. ويشير الحوار الديني الوارد في هذه الآية الكريمة إلى تعزيز التعايش السلمي، والاحترام المتبادل، والتفاهم المشترك بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى عامّة، وأتباع المسيحية خاصة. وفي مجتمع متعدِّد الأديان والأجناس والمذاهب قد يصبح الحوار الدائم المنفتح رُكناً من أركان وحدته واستقراره.

ويدلُّ سياق هذه الآية القرآنية أيضاً على بِيئة مناسبة للحوار مع الآخر لأنَّ الحوار لا يكون إلاَّ مع الآخر، وإلاَّ يصبح حواراً مع الذات أو النّفس هدفه العُزلة وليس الانفتاح.[21] وللحوار أهمية كبيرة عندما يَقبل بالتعدّد وبالاختلاف معاً.[22]

وتعامل النبي ﷺ مع الآخرين يدلّ على بساطة دين الإسلام، كما يقرر أيضاً أنَّ المصلحة الاجتماعية تأتي قبل المصلحة الفردية.[23] وباختصار فإن الحوار مع الآخر والمسيحيين خاصّة له أهمية كبيرة من أجل إقرار المبادئ والتعاليم الدينية المشتركة التي تَحثّ على:[24] أولاً: احترام الحياة الإنسانية؛ ثانياً: مراعاة حرمة الإنسان؛ ثالثاً: السعي في الأرض من أجل الخير والأمن والسلام؛ رابعاً: محاربة الإلحاد والرذيلة والفساد والظلم والطغيان؛ خامساً: دعوة النَّاس إلى قِيم المحبة والتسامح والإخاء الإنساني.

والحوار الديني فن أو أسلوب بين الأساليب الحديثة، ويدلّ هذا الحوار على تحديد الفكرة أو الموضوع بين شخصين أو جماعة للوصول إلى نتيجة معينة.[25] ويشمل موضوع الحوار كلّ ما فيه مصلحة الفرد والمجتمع، وكلّ ما يحقق المنفعة للأمة الإسلامية. وينبغي للمشاركين في الحوار الديني أن يتناولوا الموضوعات أو القضايا

---

[20] انظر كَامِل الشريف، "حوار الأديان...نظرة مستقبلية"، **آفاق الإسلام** (العدد:26، السنة السابعة، يونيو 1999م)، ص88.

[21] انظر محمَّد السَّمَّاك، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي–المسيحي** (بيروت: دار النفائس، 1998م)، ص88.

[22] وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

[23] انظر سعد إبراهيم لوبيا، "حوار أم صراع؟"، **آفاق الإسلام** (العدد:27، السنة السابعة، سبتمبر 1999م)، ص161.

[24] انظر التويجري، "**الحوار والتفاعل الحضاري**..."، ص71.

[25] انظر محمد خير رمضان يوسف، **الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب** (رياض: دار طريق، ط2، 1993م)، ص114.

ذات الصلة بحياة المجتمع في حاضره ومستقبله، وأن يُغَطي شتى الموضوعات التي ترتبط بجميع مناحي الحياة دينياً، وأخلاقياً، وسياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، وعلمياً، وتربوياً، وفكرياً وغير ذلك.[26] حيث يُعَدُّ هذا الحوار وسيلة لتكوين الطابع العام عن القِيَم الإسلامية من خلال الأقوال، والأفعال، والأخلاق.[27]

ويَنظُر الإسلام إلى الحوار الديني كوسيلة مُهمة مبنية على أسس النص القرآني، ولذلك أصبح هذا الحوار أسلوباً ربّانياً أو جزءاً من عقيدة المسلم. ومن المعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ كان أول من ألزم نفسه بهذا الحوار بينما كان يتعامل ويتعاون مع الآخرين عموماً وأهل الكتاب خاصّةً. وأصبح الحوار مع الآخر "نهجاً ربانياً، أي جزءاً من عقيدة المسلم، ومن بين ثوابتها التي لا تقبل التغيير، وألزم به النبيّ ﷺ أولاً، ثُمّ من تبعه من المسلمين فيما بينهم"، ومؤسسة دينية فَرضها الله على النّاسِ جميعاً "في شكل شعيرة مُقَدَّسة واجبة لا يجوز الإخلال بها ولا تعطيلها مما يعني إلزامية الحوار وشموليته لكلّ تعامل مع الآخر، واستمراريته في الزمان والمكان، وما يترتب على ذلك من تحريم فرض الرأي، وإملاء الإرادة في كلّ تعامل بشري".[28] وقال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125].

ويمكننا أن نستنبط من هذه الآية الكريمة مسألتين مهمتين: الأولى أنَّ غاية الحوار الديني الدعوة إلى سبيل الله ﷻ أو الدعوة إلى صراط يؤدي إلى تأسيس النظام الربَّانيّ في الأرض. والثّانية أنَّ أسلوب أو منهج هذا الحوار لابدّ أن يكون بالحكمة التي تشير في اللغة العربية إلى معان ذات علاقة بالتعقّل، والاعتدال (العدالة في الحكْم أو التوازن في الأشياء)، وإحكام الأمور (إتقان الأشياء وتحويلها إلى أحكام يُلزم بها الجميع). وتشير الحكمة أيضاً إلى التعليم المتقن الدقيق المفيد لليقين من الكتاب والسنة. وهذا ما

---

[26] انظر التويجري، "**الحوار والتفاعل الحضاري**..."، ص70.

[27] See Mahmood Ahmed Ghazanfer (ed.), *The Call to Islam*, (trans.) Muhammad Saeed Siddiqi (Pakistan: Kazi Publications, n.d.), p. 11.

[28] انظر عبد الهادي بو طالب، **حقيقة الإسلام** (بيروت: د.ن.، د.ط.، 1998م)، ص81-82.

يجعل الحوار ذا علاقة بالموضوعية والانفتاح على الآخر، يسعى إلى تحقيق الهدف نفسه حيث تلتقي الشؤون المشتركة بين المحاورين. وتُضيف هذه الآية الكريمة إلى موضوع الحوار بعداً آخر -الموعظة الحسنة- الذي يُحَرِّكُ القلب ويُوقظ الشعور، مرادها النصيحة والإرشاد[29] إلى البحث عن الحقيقة. وهذا البعد يتعلق بالظواهر التي تؤدي إلى تطوير العلاقة الحميمة بين المحاور والمستمعين بما تشتمل عليه من اللطف، واللين، والإثارة، والانفعال خلال عرض طريقة اعتقاده. وتدفع الموعظة الحسنة المحاورين إلى الابتعاد عن المغالطات والرَدّ على الأصوات الجائرة منادية إلى التعقّل والتفكّر بدلاً من المجادلة والمنــاظرة واستعمال الكلمات العدوانية.[30] ويرشد القرآن الكريم النبيّ ﷺ إلى كيفية الرَدّ على المسيء أو الشرير: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: 34].

المبحث الثَّاني: آليات القرآن في تعزيز الحوار الديني مع المسيحيين

يُعد القرآن الكريم الكلمة الأزلية والنهائية لله تعالى والوحي الخاتم، وآخر الرسالات السماوية، والوحي الذي يُجسِّدُ إرادته للناس جميعاً وكلّ ما يتجاوز الزمان والمكان،[31] وهو كتاب إلهيّ لهداية النَّاس، والدستور المُقدّس المُلائِمُ لكل جِيْلٍ مع اختلاف الأزمنة وتباين الأمكنة.[32] والقرآن الكريم "دعوة وبيان وبلاغ وبصائر للجميع بلا تخصيص ومن غير استثناء، قال تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: 138]، وقال تعالى: ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [الجاثية: 20]، وقال تعالى:

---

[29] انظر محمد سعيد البارودي، **الدعوة والداعية في ضَوءِ سورة الفرقان** (السعودية: دار الوفاء، 1987م)، ص24.

[30] انظر السيد رزق الطويل، **الدعوة في الإسلام: عقيدة ومنهج** (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1984م)، ص91؛ 96-97.

[31] See ’Ismā‘īl Rājī al-Fārūqī, “Meta-Religion: Towards a Critical World Theology,” *American Journal of Islamic Sciences,* vol. 3, no. 1, (1986): 40.

[32] See Abdulaziz Saddiq Jastaniah, *The Islamic State in Light of the Holy Qur’ān and Sunnah* (Michigan: University Microfilms International & Howell Information company, 1982), Chap. 3, p. 53.

﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 52]، وقال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾** [الأعراف: 158]. وبهذه الخاصية التي تفرّد بها الإسلام، ضَمِنَ لدعوته مِيزتين مُهمتين، هما: العالمية (Universalism) والمساواة المطلقة (Egalitarianism)، اللتان أسقطتا من الاعتبار حواجز الجنس واللغة والأعراف".[33]

وهو أيضاً الكتاب الأوّل الذي يُدمجُ ويَعترف بالقضايا الأساسية المشتركة بين الأديان.[34] وهذا الكتاب المُقدّس ليس قابلاً للتحريف أو التبديل، ولهذا ينبغي لجميع النَّاس عامّة والمسلمين خاصّة العودة إلى هذا الكتاب لإدراك فلسفته وأسلوبه وآلياته في تعزيز الحوار مع الآخر وخاصّة الحوار الإسلامي-المسيحي لكماله وقيامه على ثلاثة مرتكزات مترابطة لا فصل بينها، تعد آليات لإرساء الحوار وتعزيزه، فالدين الكامل يتكون من: **1**- وجهة نظر كلية عن العالمُ (Ethos)؛ **2**- ومن: منهج أخلاقي معين (Ethics)؛ **3**- ومن: هوية اجتماعية مشتركة (Ethnos).[35]

---

[33] عرفان عبد الحميد فتّاح، "المُرتكزات الأساسية التي حفظت للأمة كيانها"، **التجديد** (السنة: 1، العدد: 2، 1997م)، ص32.

[34] See Kamar Oniah Kamaruzzaman, *Early Muslim Scholarship in Religionswissenschaft: The Works and Contribution of Abu Rayhan Muhammad ibn Ahmad al-Biruni* (Kuala Lumpur: ISTAC, 2003), p. 13.

[35] يشرح الأستاذ عرفان عبد الحميد فتَّاح أنّ الدين الكامل يتكون من: أ- منظومة عقائدية (a system of beliefs)، تحدد وجهة نظر الإنسان الكلية في الوجود والحياة، مما يُصطلح عليها بـــ "Ethos" أو "World-view"؛ ب- مواقف مخصوصة ومعينة من الوجود والحياة الإنسانية والعالم تتمثل في طريقة مخصوصة في الحياة (a way of life) وتتجسد في نمط سلوكي له خصوصيته (behaviour) مما يصطلح عليه عادة بـــ "Ethics"؛ ج- ولأنَّ الدين لا يُشكل مرتكز الحياة الفردية فحسب، بل هو خطاب يتسم بالعالمية، وإلاَّ غاب الالتحام بين المؤمنين به، وجب أن يتخذ الدين —فضلاً عمَّا سبق-"صيغة هوية اجتماعية مشتركة" أيضاً (a common social identity). وبهذا الاعتبار فإنَّ الدين يحدد معلم وحدة اجتماعية تتشكل من أفرادها الذين أصبحوا أمَّة مخصوصة: لها "عقيدة نظرية"، وتسلك في الحياة "منهجاً أخلاقيّاً واحداً"، ولها "هوية اجتماعية مشتركة" مما يُصطلح عليها بـــ "Ethnos". انظر عرفان عبد الحميد فتّاح، "الإطار الفكري العام لنظرية المعرفة في القرآن"، **إسلامية المعرفة** (السنة:4، العدد: 15، 1999م)، ص78.

وآليات القرآن في إرساء الحوار مع المسيحيين وتعزيزه هي:

1-2. عالمية المساواة للبشرية (Universal Human Equality)

عزّز الإسلام المساواة بين النّاس الذين خلقهم الله من مادة واحدة. وفي الإسلام تنبني فكرة "عالمية المساواة للبشرية" التي هي جوهر الأديان عامَّةً وبلا استثناء، ومَطْمَح البشريَّة السَّويَّة على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها ومواطنها على أساس أنَّ الله هو خالق الأرواح.[36] فلا يجوز للإنسان الخضوع للآخرين بسبب المال، أو الهوية الاجتماعية أو الوضع الاجتماعي،[37] قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: 1].

ويُلاحظ من سياق هذه الآية الكريمة أنَّ الإسلام يُعزّز العدالة البشرية والأخوة الإنسانية، كما تشير إلى تحقيق فكرة الوحدة الإنسانية فيما يتصل بفكرة "عائلة العائلات"، ولهذا يكون تركيز الإسلام على عالمية العدالة البشرية. ولا يقف الإسلام في تعامله وعلاقته مع الآخر عند التسامح والقبول بمشروعية الآخر وحقه في الاختلاف فحسب، وإنّما يتعدّى ذلك إلى إشعار المسلمين بالقيام بواجباتهم إزاء الآخرين، فالنظرة إليهم مبنية على أساس المساواة بين الجميع وأن لا تفضيل ولا سيادة ولا سلطة لبشر على بشر وأن حرمة النفس والمال والفكر مطلقة للجميع.[38]

وهكذا يكون النَّاس في الإسلام متساوين، كلّ يُطبق دينه وعقيدته ولا يُجبره أحد أن يدخل في الإسلام إذا لم يرد ذلك، لأنَّ من حقه أن يعيش في سِلْمٍ وهدوء داخل دولة إسلامية أو بيئة إسلامية أغلبيتها مسلمون. ويُعتبر هذا الآخر في المجتمع الإسلامي

---

[36] See Mahmoud Mustafa Ayoub, “Asian Spiritual and Human Rights,” *Encounters* (vol. 2, no. 1, March 1996), p. 35.

[37] See Showkat Hussain, *Islam and Human Rights* (Kuala Lumpur: Budaya Ilmu Sdn. Bhd., 1991), pp. 35-36.

[38] انظر عبد المجيد الخوئي، "التعديات المعاصرة للإسلام في إطار العلاقة بين الدين والعلمانية"، **آفاق الإسلام**، العدد: 23، السنة السادسة – آذار (مارس)، 1998م، ص89.

مواطناً يستمتع بجميع الحقوق الإنسانية.[39] ويَعتبرُ الإسلام المساواة بين البشر قاعدة أساسية لتأسيس مجتمع متنوع الأديان، والأجناس، والألوان، والثقافات لأجل إنشاء تفاعل ديني سلمي ومُثمر بين أتباع الإسلام والمسيحية خاصة، وأتباع الأديان عامّة.

2-2. الأُخوَّة العالميَّة للبشريَّة (Universal Human Brotherhood)

إنَّ العالمية المطلقة للدين الإسلامي المشتقّة من التوحيد والمخصوصة لجميع البشر، تُعزّز فكرة القرابة العالميَّة للبشريَّة. وهذه الحقيقة تشير إلى التعامل البشري فرداً أو جماعةً أو دولة لكي يُطَوِّروا الوعي الإلهي بأنّ الله خلق البشر ليعيشوا معاً في تماسك وأمن، وقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: 13]

ويدلّ سياق هذه الآية الكريمة على أنّ دين الإسلام يُعزّز الوحدة، والعدالة، والصداقة بين البشر الذين ينحدرون من أصل واحد ولديهم غاية لأجلها هم يعيشون ويعملون في هذا العالم الراهن.[40] والخطاب الإلهي موجّه في هذه الآية الكريمة إلى النَّاس، وأية "كلمة أوسع شمولاً في مدلولها الإنساني من كلمة الناس التي تشمل البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وقومياتهم، وأديانهم وطبقاتهم".[41] وتُبين لنا هذه الآية القرآنية أنّ "معيار التفاضل بين النّاس أمام الله -أياً كانت انتماءاتهم الدينية والعرقية- هو درجة التقوى. والتقوى تجعل الإنسان قادراً على الدخول في حوار مع الآخرين. فهي التي تتيح له أن يكون إنساناً بمعنى الكلمة منفتحاً على الآخرين وساعياً إلى تحقيق الخير وإقامة العدل والسلام بين النّاس."[42]

---

[39] See ʿAbdur Raḥmān I. Doi, *Non-Muslims under Sharīʿah* (Kuala Lumpur: A.S. Noordeen, 1990), p. 39.

[40] See Jamil Farooqui, "Ummatic Unity: Challenges and Strategies," *The Islamic Quarterly* (vol. 48, no. 2, June, 2004), p. 89.

[41] هاني المبارك، **الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب** (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1997م)، ص18.

[42] محمود حمدي زقزوق، **الإسلام وقضايا الحوار**، ترجمة من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية: مصطفى ماهر (القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، 1423هـ/ 2002م)، ص66-67.

ولهذا ينبغي لكلّ مسلم أن يؤمن بفكرة الأخوَّة العالميَّة للبشريَّة لأنَّ الخلق كلّهم عيال الله. فالمسلم يعيش في أسرة كبيرة خلقها الله ليتعايش ويتعارف ويتعامل ويتحاور مع أفرادها. والفكرة الأساسية للدين الإسلامي وراء فكرة الأخوَّة العالميَّة للبشريَّة، تشير إلى تدمير سلاسل الانغلاق الذاتي وتقارب النّاس وانفتاحهم على بعضهم.

3-2. الوحدة الروحيّة للبشرية (Spiritual Unity of Mankind)

يخاطب النص القرآني من خلال الأوامر، والوصايا الإلهية الإنسان أو البشر عامّة مُفضلا على وجه التحديد المسلمين أو المؤمنين. والحكمة وراء هذا أنَّ النّاس كانوا أمّة واحدة، واختلفوا فيما بعد حسب وسائل اعتقادهم أو إيمانهم بطبيعة التوحيد المطلق. ويُقدّم القرآن الكريم فكرة الوحدة الروحيّة للبشر في الآيات: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ...**﴾ [البقرة: 213]؛ و﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [يونس: 19].

ويَعرِض سياق هاتين الآيتين التركيز الكبير من الرسالة الإسلامية على التعددية البشرية، والحرية في الاعتقاد والوجدان، كما يشير أيضاً في دلالة صريحة أنَّ البشر جميعاً أمّة واحدة لكن الله ﷻ قد أرسل الأنبياء والرسل لكي يُرْشِدُوا ويُنْذِرُوا البشرية. ولذلك انبثقت طرق مختلفة للحياة، حيث كانت العلاقة بين أهل النحل المختلفة تُعزّز العداوة والخصومة بدلاً من أن تُعزّز الاحترام المتبادل والتفاهم.

وتُركّز الرسالة الإسلامية على الوحدة الروحيّة للبشر لكي تُعزِّز التماسك الروحي والسعادة بين الجنس البشري في العالم كلّه. ويكوّن هذا النوع من الوحدة المبدأ الأساسي والجزء الفطريّ للحفاظ على توازن الوحدة الروحيّة بين النَّاس من خلال الإقرار بأنَّ الله خالق كلّ شيء وهو ربّ العالمين.[43] والإيمان بالعالم الغيبي يجعل الإنسان واعياً لأهمية

---

[43] See Sayyid Ali Abbas Musawi, “The Relation among Justice, Unity and Security,” *Message of Thaqalayn* (vol. 8, no. 4, Summer 2003), pp. 40-41.

التماسك الروحي ويقوده إلى الوحدة الروحيّة والعلاقة الحميمة. ولا ينبغي أن نَفهم فكرة الوحدة الروحيّة الإسلامية من وجهة نظر سلبية كأنّها ضدّ الآخر، بل نَفهمها كالتأييد نحو الروحيّة لأنّ الإنسان هو وحدة في نفسه، وخليفة الله في الأرض.[44]

فيكون الإسلام بهذه الصورة خير تعبير عن الوحدة الروحيّة للبشر، وذلك من خلال المفاهيم الدينية الآتية: أولاً: التوحيد المطلق؛ ثانياً: الفطرة؛ ثالثاً: الحنيفيّة السمحاء؛ رابعاً: عالمية دين الإسلام. وتتوضح هذه المفاهيم كالأتي:

أ- **التوحيد المطلق (Absolute Unity of God)**

تشير فكرة التوحيد المطلق إلى صورة وحيدة للدين تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ أي من عبادة الشيطان، والطبيعة، والمخلوقات الأخرى إلى عبادة الله الواحد القهار. وإزاحة الصور الشركيّة للعبادة من قبيل الإحيائية (Animism) أي مذهب حيوية المادة: **1**- الاعتقاد بأنّ لكلّ ما في الكون، وحتّى الكون ذاته، روحاً أو نفساً؛ **2**- والاعتقاد بأنّ الروح أو النفس هي المبدأ الحيوي المنظّم للكون.[45] وقد دعا إبراهيم عليه السلام من خلال حوار بناء قومه إلى التوحيد المطلق، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ**

---

[44] See Frithjof Schuon, *The Transcendent Unity of Religions* (U.S.A.: The Theosophical Publishing House, 1984), p. 110.

[45] الاعتقاد بأنّ كلّ ظاهرة من المَظَاهِر الطبيعة نابعة من الرّوح المُحيي حيث كان الإنسان يُخصّص نفسه وعبادته ليقُوّى الطبيعة على صورة ظاهراتية (Phenomenal Representation). ويوضّح الإيمان بالتوحيد المطلق للناس أنّ قُوّى الطبيعة التي كانوا يعبدونها سابقاً تابعةً لربّ واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

See Hakeem Abdul Hameed, “Tauḥīd and ʿAdl,“ *Studies in the Islamic Studies* (vol. 15, no. 3, July 1978), pp. 178-179.

هَـــذَا رَبِّي هَـــذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 74-79].

وَيُظهِرُ سياق هذه الآيات الكريمة أنّ التوحيد المطلق يُقرِّب النَّاس إلى بعضهم البعض بحسب وحدهم الروحيّة والأخوَّة، كما يُقرِّبهم إلى الاعتراف بدين الله[46] وإدراك الحكمة وراء الوحدة الروحيّة المُعزّزة من الدين الإسلامي من خلال التوحيد المطلق، الذي يؤدي إلى تفاهم ديني أفضل.

ب- **الفطرة** **(Human Disposition)**

يَرجِعِ الإسلام نفسه إلى دين الفطرة كموهبة إلهية للبشرية، ولذلك تفتح هذه الحقيقة عدّة فرص للإنسان لإدراك الدين بوصفه جزءاً من طبيعة الإنسان، فطرياً ويحتاج إلى اليَقظة.[47] بكلمة أخرى يُولد كلّ إنسان في حالة واعية تُمكِّنه أن يَرصُفُ طريقاً للوحدة الروحيّة وفقاً لاعترافه بوجودية خالقه كإله واحد يستحق العبادة والطاعة، قال الله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** [الروم: 30]. ويشير سياق هذه الآية إلى حقيقة أنَّ كلمة "الفطرة" تساوي عبارة "الدين القيم"، وبما أنَّ الفطرة مرادها الدين أي دين الله ﷻ وهو الإسلام، يَظهر أن الإسلام نفسه مرتبط بدين الفطرة.[48]

وقال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** [الأعراف: 172]. ونفهم من سياق هذه الآية أنَّ الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كلّ شيء موجود في أوّل زمان خلقه. وهي تعني اعتراف الأرواح البشرية وغير البشرية بكلمة -لا إله إلاَّ الله- في

---

[46] See Tazimuddin Siddiqui, “Tauḥīd – Oneness of God,” *Studies in Islam* (vol. 16, no. 2, April, 1979), p. 92.

[47] See M. Mazahim Mohideen, “Islam, Nonviolence, and Interfaith Relations,” in *Islam and Nonviolence*, edited by Glenn D. Paige et al. (U.S.A.: Centre for Global Nonviolence Planning Project, University of Hawaii, 1993), p. 132.

[48] انظر ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ج5، د.ت.)، ص56، مادة: "فطر".

يوم الميثاق أو العهد.[49] وتُعبِّرُ العلاقة القريبة بين الفطرة ودين الإسلام عند الإنسان كخلق يُفرض عليه عبادة الله من خلال مَوْكب فعليّ لإرادة الله.[50] ويكون جوهر التوحيد مُتكاملاً في فطرة الإنسان، وتحققت هذه الحقيقة في مهمّة كلّ الأنبياء والرسل، انطلاقاً من آدم إلى محمّد ﷺ جميعاً.

ج- الحنيفيّة السمحاء

الحقيقة أنَّ كلّ إنسان يُولد كعبد (يهب نفسه لطاعة الله)؛ ومسلم (يُسلّم إرادته إلى إرادة الله)؛ وحنيف (يبتعد عن كلّ شيء له علاقة بالطاغوت أو الضلالة، ويرجع إلى الله وحده).[51] كلمة "الحنيفيّة" مصطلح ديني يُعبِّرُ عن مَيْلٍ حقيقيٍ طوعي لنفس الإنسان إلى دين الله الأصيل. ويُفيد استعمال مصطلح "الحنيفيّة" في القرآن الكريم الإشارة إلى إخلاص إبراهيم ﵇ في عبادته نحو خالقه، الله ﷾.[52] وورد في القرآن الكريم مصطلح "الحنيفيّة" مشيراً إلى أنَّ إبراهيم ﵇ ما كان يهودياً ولا نصرانياً بل كان حنيفاً مسلماً.[53] وقد أوحى الله إلى النبيّ ﷺ أن يدعو الناس إلى نفس الطبيعة التوحيدية التي كانت تدعو إليها الرسالة الإبراهيمية، وهي ﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 123]. وأمر الله أيضاً النبي وأتباعه أن يعبدوا الله كحنفاء مجتنبين الشرك (Polytheism)، ورافضين التوحيد المحرّف (Corrupted Monotheism) لدى اليهود والنصارى.

---

[49] انظر سليمان الأعلمي، **دائرة المعارف** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج23، 1390هـ/ 1980م)، ص250، مادة: "الفطرة".

[50] See ʹIsmāʿīl Rājī al-Fārūqī, "Islam and Other Faiths: The World's Need for Humane Universalism," in *The Challenge of Islam*, edited by Altaf Gauhar (London: Islamic Council of Europe, 1978), p. 92.

[51] See Ghulam Haider Aasi, *Muslim Understanding of Other Religions: A Study of Ibn Ḥazm's Kitāb al-Faṣl fī al-Milal wa al-Ahwā' wa al-Niḥal* (Islamabad: IIIT, 1999), 6.

[52] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 120]؛ وقال تعالى أيضاً: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: 131].

[53] وقال تعالى: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران: 67].

ويتضّح أنَّ الاستعمال القرآني لمصطلحي "الإبراهيمية" و"الحنيفيّة" ذو علاقة قوية بمصطلح "مسلم".[54] وهكذا يربط الإسلام نفسه بمصطلحي "إبراهيمية" و"حنيفيّة" اللذين قَدَّمَا خدمة مهمة لتطوير فكرة الوحدة الروحيّة للبشرية من قِبل المسلمين وغيرهم، لأنَّها تساعد على فهم وتأسيس المبادئ الأساسية التي تعتمد عليها فكرة الحوار مع الآخر والمسيحيين خاصّة.

د- عالمية دين الإسلام (Universality of Islam)

تُشجّع طبيعة عالمية التوحيد لدين الإسلام ـــ دين الفطرة، أتباع هذا الدين على أن يجتهدوا لتأسيس بيئة دينية مبنية على الوحدة الروحيّة وشعور ودّي نحو الآخرين، حيثُ يتم تأسيس جذور قويّة لبناء الحوار الديني المُثمر مع أتباع الأديان عامّة، وأتباع المسيحية خاصة. ولم تكن هناك أية محاولة من قِبل دين الإسلام لجعل الدين كجوهر لتراعات دينية، ولا ينكفئ هذا الدين على نفسه داخل أسوار منيعة (fences of religious exclusivity)، بل يسعى إلى بناء جسور للاحترام المتبادل والتفاهم الأفضل مع الآخرين. ولذا نستطيع أن نقول إن الإسلام دين يُعزّز القِيَم والفضائل التي دعا إليها جميع الأنبياء والرسل من خلال الرسائل المقدّسة المنـــزّلة إليهم من الله ﷻ في أزمنة مختلفة،[55] مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ۞ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ۞ لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً**﴾ [النساء: 163-166].

---

[54] See Bernard Lewis, et al. (eds.), *The Encyclopedia of Islam* (Leiden: E. J. Brill, vol. 3, 1986), p. 165 (subject – Ḥanīf).

[55] See Mohideen, *Islam, Non-Violence, and Interfaith Relations*, pp. 132-133.

ويدلّ سياق[56] هذه الآيات القرآنية على أن لا تناقض ولا خلاف بين دعوة القرآن إلى الإيمان بالرسل وما أنزل إليهم وكون الإسلام تمام الشرائع السابقة وختامها، ومن هنا تظهر جهالة غلاة المستشرقين في محاولة بحثهم عن العناصر اليهودية أو المسيحية في الإسلام، مما تولد عنه انقسام اليهود والنصارى إلى مذاهب متعددة، كلٌّ يزعم بمكره السيئ صدور القرآن الكريم عن العهد القديم أو العهد الجديد.[57]

ويوضّح الإسلام أنَّ كلّ إنسان ينبغي أن يَتْبَع الحقيقة التي كان يدعو إليها جميع الأنبياء بدون استثناء لأجل تحقيق الوحدة الروحية بين النّاس. وتدلّ عالمية الإسلام على انفتاح الأمم على بعضها في إطار التواصل الحضاري، وتبادل المعارف والاكتشافات العلمية. وتقوم صياغة هذه العلاقات على أساس من الاحترام المتبادل والحريّة التعدديّة. ولقد كانت هذه هي السمة البارزة في الحضارة، والثقافة، والإيمان الإسلامي بشكل خاص نحو الاعتراف بالآخرين، واحترام خصوصياتهم.[58] وتؤدي هذه القِيَم الجيّدة المفيدة من عالمية الإسلام إلى تأسيس حوار مثمر بين المسلمين وغيرهم ضِمن مجتمع متنوع الأديان، والأجناس، والثقافات. وقد أبرز سمائل باليس (Smail Balic) في كتابه – Ruf vom Minaret: Weltislam heute-Resaissance oder Ruckfall? – الطبيعة العالمية لدين الإسلام بقوله: إنَّ الإسلام هو الاعتقاد الصالح لجميع الناس في مختلف العصور. وكان جميع أنبياء الله ورسله يُبَشّرون بنفس

---

[56] ويشير سياق هذه الآيات القرآنية إلى البصائر بأنّ الوحي الإلهي وحيان – عام (General) ووحي خاص (Special). وقد حاول في النصف الثاني من القرن السابق عدد من علماء الأديان في الغرب صياغة هذا المبدأ القرآني الخالد بالقول: إنّ الوحيَ الإلهي وحيان: عام (A General Revelation) ـــ يكتشف في الصيرورة الكلية العامّة (The Whole Process of History)، وخاص (A Special Revelation) ـــ الرسول بعينه والرسالة بعينها، التي جاءت هذه الآيات بياناً لهما معاً، وليس بعد إعجاز البيان القرآني من بيان، انظر
John Arthur Arberry, *Revelation and Reason in Islam* (London: George Allen & Unwin Ltd., 1957), p. 12.

[57] فتّاح، "**المرتكزات الأساسية ...**،" ص36-37.

[58] انظر أسعد السحمراني، **صراع الأمم بين العولمة والديمقراطية** (بيروت: دار النفائس، 2000م)، ص16-17.

الرسالة. ولذلك هناك دين واحد يُرضي الله. وهذا لا يتحقق إلاّ بأن يكون الإنسان في سلم مع الله، ومع ذاته، ومع الآخرين.[59]

ويُلاحظ من العرض التحليلي للموضوعات التي سبق ذكرها أنَّ الطبيعة العالمية للإسلام كدين الفطرة تعتمد على عالمية رسالته للعالم ككلّ، وليس لفرد أو جماعة دينية مهما كانت. وتفتح الطبيعة التوحيدية للإسلام فُرصاً ضخمة لتأسيس حوار ديني مثمر بين الأفراد ذوي الخلفيات الدينية المختلفة، وعلاَوةً على ذلك تساعد على إنجاز تفاعلات أو محاورات دينية منصفة بين المسلمين والمسيحيين على أساس الاحترام المتبادل والتفاهم الديني الأفضل.

4-2. عدم الإكراه

يَظهر أسلوب الانفتاح والتجانس للرسالة القرآنية التي اختارها الله كخاتمة الرسائل السماوية السابقة من خلال الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وعبادته، والتسليم بكلّ ما جاء في الرسالة القرآنية باعتبارها وحياً من الله، والإيمان بنبوّة محمّد ﷺ وأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته إلى البشرية جمعاء إلى يوم الدين أي يوم الحساب. وتحقق روح هذه الرسالة بفعل النبيّ ﷺ، وقوله، وتقريره، كما أنَّ أمر الله إلى الناس يقوم على أساس الإيمان به والعمل الصالح من خلال التعامل، والتعايش السلمي مع الآخرين.

ومن هنا نستطيع أن نقول إن روح رسالة الإسلام لا يقف عند التزام الفرد والجماعة بالحدود والشعائر، وإنّما المسلم مكلف بمهمة التعزيز والتبليغ برسالة القرآن وبالحوار، والبيان، والوعظ والإرشاد من دون جبر أو إكراه.[60] وتتحقّق طبيعة الانفتاح

---

[59] "Islam is a faith for the whole of mankind, and for all ages. All God's messengers preached the same message. There is, therefore, only one faith that is pleasing to God. This is none other than surrender to God, and being at peace with Him, with oneself and with other men." As cited by Karl-Wolfgang Troger, "Peace and Islam: In Theory and Practice," *Islam and Christian-Muslim Relations* (vol. 1, no. 1, 1990), p. 14.

[60] انظر الخوئي، "**التعديات المعاصرة**...."، ص85.

القرآني من خلال موضوع الحوار الديني مع المسيحيين حيث يقوم باستبدال المواقف السلبية كالبغضاء، ومشاعر الحقد، والكراهية، بمواقف إيجابية كالسماحة، والمودَّة، والتعاون المشترك، والاحترام المتبادل مع التزام كلّ صاحب دين بخصوصيته العقدية، من غير تبشير، ولا إكراه لأنّ الإسلام جاء لتأسيس نهج رباني على أساس الحوار حيث تتحقق صفاته: دعوة ربّانية، ورسالة سماوية، وحفظ للهوية الثقافية والحضارية.[61]

وكذلك يريد الإسلام لكلّ قيمة من قيمه الأخلاقية، والدينية، والاجتماعية، ...الخ، من خلال الحوار الديني مع أتباع المسيحية، أن تأخذ مكانها الطبيعي في حياة البشر، سواء بطريقة منفصلة أو متصلة بالحل الإسلامي الشامل.[62] ومن هنا جاءت الحكمة الربانية البالغة في رفض الرسالة القرآنية المطلقة للإكراه على الإيمان، قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ**﴾ [البقرة: 256].

ويُبين لنا سياق هذه الآية الكريمة أنّ الإكراه في الأمور الدينية أمر غير وارد،[63] ولم يقع الإكراه في تبليغ رسالة الإسلام، كما يعتقد بعض المستشرقين الغربيين، بل كان المسلمون عندما يفتحون بلداً يتركون أتباع الأديان الأخرى أحرارًا في تطبيق معتقداتهم.[64] ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

> أي لا تُكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيِّن واضح، جلي دلائله وبراهينه؛ لا يحتاج إلى أنَّ يُكره أحد على الدخول فيه؛ بل مَن هداه الله تعالى للإسلام، وشرح صدره، ونوَّر بصيرته، دخل فيه على بيِّنة؛ ومَن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره؛ فإنه لا يفيده الدخول في الدِّين مكرهاً مقسوراً.[65]

---

[61] انظر فتّاح، "**المُرتكزات الأساسية...**"، ص31.

[62] انظر الخوئي، "**التعديات المعاصرة...**"، ص88.

[63] انظر محمّد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ج3، 1997م)، ص25-26.

[64] See Schuon, *The Transcendent Unity of Religions*, p. 117.

[65] إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار يوسف، 1403هـ/ 1983م)، مج1، ص273.

كما يقول سيد قطب مبيناً انفتاح وسماحة دين الإسلام:

> والإسلام هو أرقى تصور للوجود والحياة وأقوم منهج للمجتمع الإسلامي بلا مراء هو الذي ينادي بأنّه لا إكراه في الدين، وهو الذي بيّن لأصحابه قبل سواهم أنّهم ممنوعون من إكراه النّاس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة ولا يسمح لمن خالفها بالحياة.[66]

وبعد هذا العرض المتواضع نستطيع أن نقول إن الإسلام يمنع الإكراه في الدين للأسباب الآتية:

أوّلها: أنّ الإكراه يُهين كرَامَة الإنسان، ثمة عدد من الآيات القرآنية تشير بصورة صريحة إلى معنى التكريم والتفضيل الإلهي للنوع البشري في ذاته وجوهره، والتصور الإسلامي نحو هذه الكرَامَة التي منحها الله لبني آدم. والنصوص القرآنية التي تشير إلى تكريم بني آدم من الله ﷻ بصورة مطلقة: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلاً**﴾ [الإسراء: 70]؛ وأنّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: 4]؛ وأنّه خلق الإنسان بيده: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ [ص: 75]؛ ثُمّ قال للملائكة اسجدوا لآدم: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ**﴾ [الأعراف: 11]؛ وأبلغهم أنّه ﷻ قد استخلف الإنسان في الأرض: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30]. وتُعد هذه النصوص القرآنية الأساس "الذي بنى عليه الفقهاء مختلف اجتهاداتهم التي كان إعلاء كرامة الإنسان محورها ومدارها."[67]

---

[66] سيّد قطب، **في ظلال القرآن** (بيروت: دار الشروق، ط8، 1399هـ/ 1979م)، مج1، ص291.

[67] فهمي هويدي، **الإسلام والديمقراطية** (القاهرة: مؤسسة الأهرام، 1993م)، ص27.

وثانيها: أنّ الإكراه يشوه طبيعة الإيمان أو الاعتقاد، لأنّ الإيمان جوهر باطني يتصل بالشعور الوجداني، وهو شأن داخلي لنفس الإنسان. واستخدام القوّة أو الإكراه لتغيير الإيمان من حال إلى آخر سيؤدي إلى الارتداد عن الدين. ومع منع الإسلام الإكراه، "فإنّه قد ترك الباب مفتوحاً أمام النّاس جميعاً للدخول فيه بمجرد إعلان المهتدي إليه عن إسلامه طواعية، وعن نظر وتدبر، وقبوله بقواعد شريعته اختياراً..."[68] بدون عنف أو إكراه. ولذلك نقول إنّ الإيمان لا يتحقّق عن طريق الإكراه أو العنف،[69] لأنّ الإيمان كما قال محمد سعيد رمضان البوطي:

> قضية باطنية (داخلية) خالصة، وأنّه لابدّ أن يكون عن اختيار مبني على الإدراك واليقين، وأن الإكراه عليه لا يؤدي إلاّ إلى سوءتين كلتاهما عار وشنار لا تليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى، وجعله أهلاً للخلافة في الأرض، وحمله أمانة السماء، وهاتان السوءتان هما: إما التظاهر الكذوب بالإيمان نفاقاً، وخوف المحنة، مما يسوق لزاماً إلى ألوان من (التقيّة والخداع) وذلك بإظهار الإنسان خلاف ما يعتقده داخلياً قناعة ويقيناً، مخافة الردع والقهر، أو تحيُّن الفرصة المواتية للارتداد الكامل عمّا أجبر عليه إكراهاً وجبراً.[70]

وحذرنا القرآن الكريم من النفاق الذي ينطلق من الإكراه، وقرنه بالفسوق، في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [التوبة: 67] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: 145]. ولذا ينبغي لمن أراد أن يدخل في دين الإسلام أن لا يدخل بطريق الإكراه، بل بطريقة سليمة حيث يفهم رسالة الإسلام فهماً حقيقياً حتّى يفتح الله قلبه ويوسّع صدره لقذف الإيمان الصحيح فيه كي لا يرتد، وإلاّ فلا خير في إسلامه ابتداءً.

---

[68] فتّاح، "**المرتكزات الأساسية...**"، ص31.

[69] انظر محمّد سعيد رمضان البوطي، "الإسلام وسنّة الاختلاف"، في **الحوار سبيل التعايش مع التعدّد والاختلاف**، إعداد: محمّد نفيسة (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1995م)، ص36.

[70] عرفان عبد الحميد فتّاح، **دارسات إسلامية** (كوالا لمبور: دار التجديد، 1425هـ/ 2004م)، ص215.

و**آخرها**: أنَّ الإكراه سيُهمِل فكرة حريّة الاختيار، وقد خلق الله الإنسان بعقل سليم حتّى يُمكِنه من التفريق بين الخير والشرّ. وتُعتبر حرية الاختيار لدى الإنسان الجوهر الأساس لحياته. وإذا أهملت كرامة الإنسان تصبح حياته بلا معنى. والإكراه على حرية الاختيار يؤدي إلى سوء الفهم فيما يتصل بالإيمان، ويقول الله تعالى: ﴿**وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيْعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِيْنَ**﴾ [يونس: 99]، ويقول الله تعالى: ﴿**وَلَو شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ**﴾ [الأنعام: 107]، وقوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: 12-22]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بَجَبَّارٍ**﴾ [ق: 45] أي بقاهر لهم على الإيمان. ذلك أنَّ إهمال فكرة حريّة الاختيار من خلال الإكراه أو العنف يسوق الإنسان إلى النفاق والكذب والخداع.

المبحث الثالث: التطبيقات المعاصرة للحوار مع المسيحيين

المجتمع الإنساني أصبح في عصرنا الحاضر "مسكناً واحداً"، ولهذا فإنَّ قضية التطبيق والفهم الصريح للحوار الديني، كما يعتقد الآن كثير من اللاهوتيين من المسلمين والمسيحيين وممثلي الجماعات الدينية المختلفة أصبح ضرورياً للغاية، إضافة إلى أنّ (الحوار) يتوافق مع روح العصر على أساس التسامح والتعايش السلمي بين أتباع الأديان. فيجب لكلّ عالم من علماء الإسلام والمسيحية أن يقوم بتطبيق فكرة الحوار الديني مع الآخر. ويُلاحظ أنه في "الوقت الحالي يتشكل مفهوم آخر للحوار -كمحطة تاريخية واعية، لوضع شديد الأهمية والحساسية، ويتطلب دراسة مفاهيمية- نظرية متكاملة، ومعالجة مؤسساتية، عملية مثمرة وفاعلة."[71] ولذلك، فالحوار هو السبيل لبلوغ الهدف والوصول بالبشرية إلى التعايش السلمي والسلام، كما أنَّ مستقبل البشرية يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب ذات الخلفية الدينية أو الثقافية المختلفة.

---

[71] أليسكي جورافسكي، **الإسلام والمسيحية**، وترجمه من اللغة الروسية إلى اللغة العربية: خَلف محمد الجرادُ (الكويت: عالم المعرفة، 1996م)، ص22.

الاحترام والتفاهم مع الآخرين الجوهر الأساسي لعلماء المسلمين الذين يشاركون في الحوار الديني مع أتباع الأديان عامّة، وأتباع المسيحية خاصّة. ويسوق التصور الإسلامي للحوار الديني المسلمين والمسيحيين معاً إلى تغيير موقفهم من الانغلاق الذاتي (Self-Isolation)، أو الموقف التبريري (Apologetic Stance) إلى الانفتاح (Openness) على بعضهم البعض. وتطبيق هذا الحوار من علماء المسلمين يشير إلى تأسيس مواقف دينية واجتماعية ذات علاقة بالإسهام في التعامل السلمي، والاحترام المتبادل، والتفاهم الأفضل. ولا يكتمل التطبيق الصريح للإطار الإسلامي لقضية الحوار الديني مع المسيحيين إلاَّ بتوفر حرية دينية، وعدل، واحترام للهوية الدينية للآخرين. والجدير بالذكر أنّ مشاركة المسلمين في الحوار الديني مع المسيحيين تؤدي إلى تجديد الفكر الإسلامي.

و لم تظهر فكرة الحوار الديني بمفهومها الجديد إلاَّ بعد المجمع الفاتيكاني الثّاني في عهد البابا بولس السادس عام 1965م، لأوّل مرة في تاريخ الكنيسة المسيحية عامّة، والكنيسة الكاثوليكية خاصّةً فقد ناقش هذا المجمع على مستوى مذهبي ـــ عقائدي مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية. حيث خصّص لهذه المسألة المهمة تصريحاً خاصاً حول "علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية" (نوسترا إيتاتي ـــ Nostra Aetate). وتُعدّ هذه الوثيقة من قبل اللاهوتيين النصارى والمسلمين معًا كأهم وثيقة في تاريخ الكنيسة الصادرة عن هذا المجمع. وتتحدث هذه الوثيقة عن علاقة الكنيسة بأتباع الأديان عامّة وأتباع الإسلام خاصّة، والذي يهمنا في هذا المقام الوقوف عند النص النهائي لتصريح المجمع بشأن الديانة الإسلامية. وتتحدث هذه الوثيقة (Nostra Aetate) عن موقف الكنيسة من الإسلام كالآتي:

> إنَّ الكنيسة تنظر بعين الاعتبار أيضاً إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كلّ شيء، خالق السماء والأرض ومكلم البشر. الذين (أي المسلمين) يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتّى لأوامر الله الخفية، كما خضع له إبراهيم، الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي.

> وأنَّهم يجلّون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله،[72] ويكرمون أمّه مريم العذراء كما أنّهم بتقوى يتضرعون إليها أحياناً. علاوة على ذلك فإنّهم ينتظرون يوم الدين عندما يثبت الله كلّ البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضاً، ويؤدون العبادة لله لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم. وإذا كانت قد نشأت، على مر القرون، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعزّزوا معاً العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقيّة والسلام والحريّة لفائدة النّاس جميعاً.[73]

نستنبط من هذا النّص ميزتين مهمتين،[74] الأولى، التوكيد على نقاط الالتقاء في معتقدات المسيحيين والمسلمين (وصف إيجابي للعقيدة الدينية الإسلامية)، كما يؤكّد على الاختلاف الجوهري: إعلان النصارى الإيمان بألوهية يسوع (عيسى عليه السلام). والثّانية، التأكيد على إمكانية تقارب الأهداف والتفاهم، والاحترام المتبادل بين أتباع المسيحية والإسلام حتّى يقوموا بتأسيس مجتمع إنسانيّ على أساس التعايش السلمي بين أفراده على الرغم من اختلاف الجنسية، والدين، والثقافة، ...الخ. كما نَفهم أيضاً أنّ مضمونها يؤدي إلى إظهار موقف جديد إيجابي في علاقة الكنيسة بالعالم الإسلامي من خلال فكرة الحوار الديني داعياً إلى تعزيز أواصر الصداقة، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتعايش السلمي، والعدالة الاجتماعيّة والأخلاقيّة، والتسامح، والحريّة الدينيّة.

---

[72] وفي الحقيقة أنّ كبار علماء النصارى كانوا يعارضون هذه العقيدة، أي إلهية يسوع.

[73] Walter M. Abbott (ed.), *The Documents of Vatican II* (New York: American Press, 1966), p. 663; see also Miikka Ruokanen, *The Catholic Doctrine of Non-Christian Religions according to the Second Vatican Council* (Leiden / New York / Cologne: E.J. Brill, vol. 7, 1992), pp. 76 passim, 88; and David S. Noss & John B. Noss, *A History of World's Religions* (New York: Macmillan Publishing Company, 1990), p. 520; and Declaration *Nostra Aetate* Proclaimed by his Holiness Pope Paul VI on October 28, 1965, http://www.vatican.va/archieve/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vat-ii_decl_1> (accessed on 23 October 2003).

[74] وهذا يعني الرؤية الكاثوليكية للحوار الديني مع المسلمين، التي تفرق بين شكليه الأساسيين: الشكل النظري (العقائدي، والمذهبي) والشكل العملي (التعاون في المجال الاجتماعي).

و يُلاحظ من الكتابات والمقالات التي كتبها المفكرون الإسلاميون أنّهم قد اتخذوا مواقف شتى تجاه فهمهم لفكرة الحوار الديني الصادرة عن وثيقة (Nostra Aetate). فذهبت جماعةٌ منهم إلى أنّ تعزيز الحوار مع المسلمين من خلال هذه الوثيقة يُعتبر إشارة تغيير إيجابية حول مواقف الكنيسة عامّة والكنيسة الكاثوليكية خاصّة من عداواتها ونزاعاتها السابقة مع العالم الإسلامي. ولذا نجد من خلال المؤلفات والكتابات المؤلفة من قبل هذه الجماعة أنَّها غيّرت موقفها من الانغلاق الذاتي (Exclusivism) إلى الانفتاح الموضوعي (Inclusivism). ويبدو أنّ هذه الجماعة شاركت في الحوار مع المسيحيين وفهمت أهداف هذا الحوار، وأبرزت شأن الإسلام بين الأديان عامّة والمسيحية خاصّة.

ونجد جماعة أخرى ذهبت إلى أنَّ نص هذه الوثيقة المتعلق بفكرة الحوار لا يدعو إلى تطبيق عقيدة متعددة الأهداف، وصياغتها حول معتقدات أتباع الأديان الأخرى تعارض قواعد الحوار الديني مع الآخر. ولكن نستطيع أن نقول إن هذه الوثيقة الصادرة عن مجمع الفاتيكان الثاني تُعد أهم وثيقة في تاريخ علاقة الكنيسة مع المسلمين تشجّع اتخاذ موقف يتصل بالتفاهم المنصف والتعاون المشترك تجاه المسلمين وطريقة إيمانهم.

وهناك جماعة ثالثة لها موقفان: الرضى عن Nostra Aetate في تعزيز فكرة الحوار مع المسلمين، وفي الوقت نفسه ترى في نص هذه الوثيقة عِدة عيوب وعوائق تؤدي إلى الانغلاق الذاتي وتعدّ الكنيسة الكاثوليكية المحطة النهائية لفكرة الخلاص، أي إذا أراد الإنسان أن يفوز في العالم الدنيوي والأخروي لابدّ أن يؤمن بألوهية يسوع ويأخذ الكنيسة كمرجع أساسي للخلاص.

ويقدّر المفكر إسماعيل راجي الفاروقي دور (Nostra Aetate) في تعزيز العلاقات الحميمة بين الكنيسة والعالم الإسلامي من خلال الأخلاقيات[75] حين يطلب من المسيحيين

---

[75] Ismā'īl Rājī al-Fārūqī, "Islam and Christianity: Diatribe or Dialogue," in *Muslims in Dialogue: The Evolution of Dialogue*, edited by Leonard Swidler (U.S.A.: The Edwin Mellen Press, 1992), p. 30.

والمسلمين معاً أن "ينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعزّزوا معاً العدالة الاجتماعية والأخلاقيّة والسلام والحريّة لفائدة النّاس جميعاً."[76] ولكنه غير راض عن طريقة الوثيقة الأبوية في تعامل الكنيسة مع الآخرين، أي احتفاظ الكنيسة بحقيقة الخلاص.[77] ويُقدّر المفكر سيد حسين نصر أيضاً روح وثيقة (Nostra Aetate) في دعوتها إلى الحوار مع المسلمين، إلاّ أنّه يُلاحظ أنّها لا تعطي صورة حقيقية عن دين الإسلام وهي لا تقبل شموليته كدين مبني على منهج رباني، ثمّ تتعامل معه كما ينبغي؛ ويريد من هذه الوثيقة أن توضّح موقفها من الإسلام، لأنّ فهمها الناقص له من قبل الكنيسة سيعوق إمكانية الاحترام المتبادل والتعايش السلمي والتفاهم المنصف مع العالم الإسلامي.[78]

ويعترف المفكر الإسلامي عرفان عبد الحميد فتّاح بسلامة دعوة هذه الوثيقة إلى الحوار الديني، ويطلب من المسلمين أن يُقدّروا موقفها في تحقيق وحدة الأديان عبر الحوار بين أتباعها، سواء في مدلولها الأوسع الذي لا يفرق في الجمع بين الأديان السماوية وغير السماوية، أو في مدلولها المقيّد بالمجمع الإبراهيمي (Abrahamic-Ecumene)، ومع ذلك فهذه الوثيقة حسب رأيه لم تصل إلى غاية الحوار الديني. كما أنّها لا تعترف بصحة دين الإسلام ومصادره: القرآن الكريم والسنة النبوية. ويَرى أنّ هذا الموقف لا يُشجّع المسلمين في الدخول في الحوار مع المسيحيين. وإضافة إلى ذلك، يقول إن الهدف الصريح من هذه الوثيقة ليس تأسيس فكرة الحوار مع المسلمين، بل الذي قصد به (Nostra Aetate) "أصالة وابتداءً، تبرئة اليهود من التهم الكبرى التي وجهتها المسيحية عبر تاريخها إليهم، من أنّهم: قتلة الرب عيسى عليه السلام (God Killers) -(Charge of Deicide) وأنّهم ضالعون في تسميم مياه الآبار (Poisoning of Wells)، والمتربصون بأطفال النصارى، واغتصابهم، وذبحهم، واستخدام دمائهم في احتفالاتهم بعيد العبور- الباسوفر

---

[76] Walter M. Abbott (ed.), *The Documents of Vatican II* (New York: American Press, 1966), p. 663.

[77] See al-Fārūqī, *"Islam and Christianity:...,"* p. 106.

[78] Seyyed Hossein Nasr, "Response to Hans Kung's Paper on Christian-Muslim Dialogue," *The Muslim World* (vol. 77, no. 2, April 1978), pp. 98-99.

(Passover).[79] ويلاحظ أن موقف الكنيسة من تكفير خطايا اليهود يخالف الحقيقة الصريحة أنّ الغالبية العظمى من اليهود أنكروا أن يكون عيسى عليه السلام المخلص الإلهي الذي كانت اليهود تنتظر مجيئه، وقاموا بالتجديف حين اعتبروه ابن زنا. وبالاختصار نجد أنّ فتّاح يؤيد أنّ فكرة الحوار المعززة من وثيقة (Nostra Aetate) أدت إلى مواقف تصالحية–توفيقية بين المسيحية واليهودية، كما أنّ دعوتها إلى الحوار حسب رأيه مثلت "أشنع أكذوبة في التاريخ، وأقطع عملية ابتزاز ديني ومثلت خنوعاً خضوعاً من الفكر الديني المعاصر الذي فقد مصداقيته ليستسلم طوعاً للتداعيات السياسيّة، والفكريّة المعاصرة الراهنة ولوازمها التي تخطط لها من وراء الستار الصهيونيّة العالميّة."[80] ولهذا السبب يرى فتّاح أن عدداً كبيراً من علماء المسلمين لم يرحبّوا بفكرة الحوار الديني الصادرة عن (Nostra Aetate) حين وجدوا اختلافا كبيراً بين جانبيها النظري والتطبيقي للحوار.

ولقد أصبحت الدعوة إلى الحوار مع الآخر في العقود الأخيرة من القرن العشرين من أهم القضايا والموضوعات التي يهتم بها كبار رجال الديانات الثلاثة الإسلام، والمسيحية، واليهودية. وإشارة علماء المسلمين إلى هذه الدعوة أدت إلى تحسين علاقتهم مع المسيحيين وتغيير فهمهم لفكرة الحوار، ولذلك فهموا أنّ إخلاص النية في تطبيق هذا النوع من الحوار يؤدي إلى بناء جسور إيجابية للتواصل والتراحم بين أتباع الإسلام والمسيحية، كما يؤدي أيضاً إلى احترام خصوصية كلّ دين.

وأعتقد أنّ عدداً من علماء المسلمين آمنوا بفكرة الحوار الديني، كما أنّهم بذَلوا جهدهم وشاركوا في هذا الحوار من خلال حضورهم المؤتمرات التي نظمها العالم الإسلامي والمسيحي معاً، وعاشوا في بيئتي الإسلام والمسيحية الغربية، وهم إسماعيل راجي الفاروقي، سييد حسين نصر، مراد هوفمان، وعرفان عبد الحميد فتّاح.

---

[79] عرفان عبد الحميد فتاح، "الفكر الإسلامي في مواجهة الدعوة إلى الحوار بين الأديان"، **مجلة الإسلام في آسيا**(العدد: 1، يونيو 2004م)، ص77.

[80] **المصدر نفسه**، ص78.

يُعدّ المفكر إسماعيل راجي الفاروقي الأول في العالم الإسلامي الذي بذل جهده في استبدال المنهج الجدلي ذي البعد الأحادي (Monopolistic Methodology) المبني على النقض والتبرير (Refutation versus Justification) بمنهج هدفه الاحترام المتبادل وتقارب الأهداف والتفاهم المنصف تجاه طريقة الإيمان لدى النصارى. وأسلم نفسه إلى الحوار الديني، وأصبح قوة أساسية للحوار الإسلامي مع الحضارة المسيحية. وهو يشرح لنا أنّ الإسلام والمسيحية يناديان بدعوة الحوار الديني لأنّهما ديانتا الغفران والرحمة والتعاطف والتسامح بين الخلق جميعاً.[81] ويرى أنّ الحوار الديني شيء ضروري في عصرنا الحاضر، ولذلك يُطلب من المسلم أن يشارك في هذا الحوار لكي يبلّغ رسالة الإسلام إلى الآخرين. كما عليه أن يلزم نفسه بالاستماع إلى آراء الأخرين حول معتقداتهم. لذا يؤدي جوهر هذا الحوار إلى مشاركة ذات هدفين، الحرية في أن تقتنع وأن تُقنع بالحقيقة.[82] وينظر الفاروقي إلى دعوة الحوار كبعد لوعي إنساني لابدّ أن يُعرف من الآخرين، ويبحث عن وجوه التشابه والاختلاف مع معتقداتهم.[83]

أما سيد حسين نصر فينظر إلى دعوة الحوار الإسلامي مع الآخر كحركة روحية مهمة تؤدي إلى تقارب بين المسلمين والنصارى، وتقوّي معتقداتهم ومسؤولياتهم تجاه ديانة بعضهم البعض. ويعتمد منهج الحوار الإسلامي-المسيحي على التفاهم المنصف وحل بعض المشاكل والقضايا المستمرة. فيؤدي جوهر الحوار الإسلامي-المسيحي إلى قبول الآخر كما هو لا كما تريده أن يكون.[84]

---

[81] انظر إسماعيل راجي الفاروقي، "الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة"، **ندوة الحوار الإسلامي المسيحي** (الليبية، 1-5 فبراير1976م)، ص280.

[82] Ismā‘īl Rājī al-Fārūqī, "Rights of non-Muslims under Islam: Social and Cultural Aspects," *Journal of Institute of Muslim Minority Affairs*, vol. 1, no. 1, (Summer 1979), p. 95.

[83] Al-Fārūqī, "*Islam and Christianity: ...,*" p. 9.

[84] See Seyyed Hossein Nasr, "Islamic-Christian Dialogue: Problems and Obstacles to Be Pondered and Overcome," *Islam and Christian-Muslim Relations* (vol. 11, no. 2, July 2000), p. 218-129.

ويرى مراد هوفمان أن تطبيق الحوار الإسلامي-المسيحي سيتحقق فقط، إذا حاول المسلمون والمسيحيون أن يظهروا إخلاصاً كاملاً في علاقاتهم لكي يَحُلّوا المشاكل الراهنة، كما أنّ التعايش السلمي سيحقق هدفه إذا حاول الغرب المسيحي تفهمَ العالم الإسلامي بجدية، ومثل ذلك مطلوبٌ من العالم الإسلامي أيضاً.[85] ويعتقد هوفمان أن استمرار الموقف المنفتح للمسلمين تجاه المسيحيين سيبقى ما دام المفكرون المسلمون يتخذون القرآن الكريم رسالةً سماويةً منزلة على محمّد ﷺ، والشريعة الإسلامية هداية إلهية.[86] ولا يصرّ المنهج القرآني فقط على دعوة الحوار التي تؤدي إلى تقارب وتوحيد النّاس، بل يصرّ على التنوع أيضاً.[87]

ويعتقد عرفان عبد الحميد فتّاح أن هدف الحوار الإسلامي-المسيحي سيتحقق فقط إذا كان هناك تفاهم مشترك واحترام متبادل بين أتباع الإسلام والمسيحية تجاه طريقة الإيمان. ولهذا يُطلب من كلّ مسلم أن يلزم نفسه "بمنهج في دراسة الديانة المسيحية مبني على قواعد من منهج: وصفي ظاهراتي تاريخي: هدفه الأسمى بيان عقيدة كلّ جماعة دينية، كما هم يؤمنون بها، ويمارسون طقوسها وفي صيغة جواب عن السؤال. وليس من منطلق صيغة مساءلة استنكارية بصيغة: لم لا؟"[88] وإذا أراد المسلمون نجاح الحوار الديني فلابدّ أن يكيّفوا أنفسهم بتطبيق القواعد المنهجية التي أرشدنا إليها القرآن الكريم، وأهم تلك القواعد: أولا: ينبغي توكيد وتقرير، واستحضار التوجيه القرآني والأدب النبوي في الانفتاح الإيماني على أتباع الأديان والمؤمنين برب العالمين إلهاً رباً خالقاً، وبيوم الحساب الأخروي، والعمل الصالح؛ ثانيا: ينبغي تقدير رسالة القرآن بموقفها الثنائي المتضايف -التصديق والهيمنة، وإلاّ أصبح

---

[85] انظر هوفمان، **الإسلام كبديل**، ص33.

[86] See Murad Wilfried Hofman, “Religion after Religion: Secular Anti-Modernism and the Study of Religions,” *The Muslim World Book Review* (vol. 2, no. 2, 2001), p. 9.

[87] See Murad Wilfred Hofmann, “The Protection of Religious Minorities in Islam,” *Encounters* (vol. 4, no. 2, September 1998), pp. 140-141.

[88] عرفان، "**الفكر الإسلامي**..."، ص84-85.

ورود القرآن الكريم بعد نزول التوراة والإنجيل عبثاً لا فائدة منه؛ ثالثا: ينبغي استحضار المبدأ القرآني الخالد في كرامة بني آدم على الرغم من اختلاف اللغات، والجنسيات، والثقافات، أو المعتقدات الدينية.[89] ونفهم من موقف فتّاح أنَّه يدعو المسلمين إلى "إقامة الحوار مع الآخرين على مبادئ صيانة الكرامة الإنسانيّة في كلّ شأنٍ وحالٍ، والتفاهم المشترك والاحترام المتبادل والشَّفافيَّة في التّعامُل، وليس على أساسٍ من: المواجهة العُدوانيَّة (Militant Dogmatic Confrontation)."[90]

الخاتمة

المفهوم القرآني لفكرة الحوار الإسلامي-المسيحي يُعدّ الأمل الوحيد الذي يعود إلى المجتمع البشري عامّة والمجتمع الإسلامي-المسيحي خاصَّة بالسلام والسعادة المفقودة في عصرنا الراهن، حيث سيطرت عليها أسلحة الدمار والقنابل الذرية الخطيرة والتجارب العلمية التي تضر بحياة البشر والحيوانات والبيئة. وكل هذا يتعارض مع الأسس والمبادئ والقيم الإسلامية الصحيحة. ولهذا، الدعوة إلى فكرة الحوار مع الآخر من منظور الرسالة القرآنية يساعد على تطوير الفكر الديني عامّة والفكر الإسلامي خاصّة الذي ينطلق من الرؤية الكونية الإسلامية. ويخلص هذا البحث إلى أنّه:

- لابدّ من الاعتراف الروحي بعبادة إله واحد بلا شريك في ملكوته، ليقود أتباع الأديان المختلفة، وأتباع الإسلام والمسيحية إلى تأسيس علاقة دينية حميمة مبنية على الانفتاح مع بعضهم البعض وفهم الآخرين كما هم، ولماذا هم كذلك، ويجنبهم الدعوات الفردانيّة والمعياريّة والتي تأخذ عادة صورة: لماذا ليس هكذا؟

---

[89] **المصدر نفسه**، ص85-89.

[90] عرفان عبد الحميد فتّاح، **النصرانيّة: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها** (كوالا لمبور: دار التجديد، ط2، 2005م)، ص12.

- إنّ المنهج القرآني هو أفضل المناهج الربانيّة والعقلية في دعوته إلى الحوار مع أتباع الأديان عامّة وأتباع المسيحية خاصّة.
- لا بدّ من الفهم الصحيح للمنهج القرآني في تعزيز الحوار مع الآخر الداعي إلى الانفتاح الإيماني على أتباع الأديان عامّة وأتباع المسيحية خاصة، أي إحياء الظواهر القرآنية فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية، الذي لا يساعد فقط المجتمع الإسلامي-المسيحي، بل المجتمع البشري كلّه.
- لابدّ للمسلمين والمسيحيين أن يفهموا دياناتهم فهماً صحيحاً من خلال التربية الدينية الخالصة، وهذا ما يؤدي إلى تأسيس مجتمع ديني داع إلى التعايش السلمي والاحترام المتبادل وحفظ الكرامة والهوية الإنسانية.